

ثم تأتي إلى اثر من
انضح آثار الادب القصصي
في العراق، وتقصد به أثر
شالوم درويش المحامي.
فان مجموعتيه « احرار

القصة العراقية الحديثة

بقلم الدكتور سهيل إدريس

إلى الفراش انها تود ان
تبسح آخر سوار لها ،
على ثمنه يساعد على
إدخال اخويها المدرسة ..
وتعلق الاطفال بتلك
العنزة ، رفيقة الشقاء ،

ليس هو تعلقاً مؤثراً وانسانياً ؟
وفي هاتين المجموعتين قصص اخرى بديمة ، منها (ابو الشوارب) التي
تروي حكاية شرطي من شرطة المرور شديد الاعتزاز بشاربيه الكبيرين .
وقد وقع في حب فتاة كان يراها كل يوم تمر امام نقطته ، فقيل له انها تقبل به
زوجاً شرط ان يحاق شاربيه . وحين رأى مقص الحلاق يقترب من شاربيه
العزيبين ، انفجرت غصاته ، فالتفض واقفاً وصاح في وجه الحلاق المدهوش :
« لن أتزوجها ، لن أتزوجها ! » ثم عاد الى مركزه . وتناول (تخرير عبد)
حكاية زنجي يقع في حب ابنة الباشا التي يخدمها ، وقد بغته الباشا يوماً وهو
يقبل صورة ابنته فضربه وطرده ... وحسب الناس ان الباشا انما حرر عبده
بدافع من الكرم ! وقد ضمن شالوم درويش قصتيه (محكمة) و (اكسير
العبقرية) حالتين من حالات الاوهام الطاغية والافكار الراسخة . وللقصة
الثانية اهمية بسيكولوجية خاصة ناتجة عن تحايل نفسية شخص يعي مبالغا
فيه انه « رجل عادي » ، وكان يؤمن بان العبقريين كانوا جميعاً مرضى وذوي
عاهات ، فلم يجد الا ان يقوم ببعض اعمال أضرت بجسده ، وقد انتهى به الامر
الى الجنون فالانحار . ويهتم المؤلف في عدد من قصصه بتحليل تطور الغرائز
ورود فطرها ، شأنه في ذلك شأن محمود تيمور : ففي (الحرمان) - وهي احدى
روائع قصصه - يحلل نفسية شاب فقير محروم من النساء ، فهو - بينه في الطرقات
دون وعي ، ويقف مرة امام واجهة يرى فيها تمثال امرأة تكاد تكون عارية ،
وكأنها مفيقة الآن من حلم جميل . ومضى في طريقه بعد بضع دقائق ، ولكنه
ما لبث ان عاد يطرح على صاحب الخانوت بضعة اسئلة عن ثمن التمثال ، ثم
يمضي اشد بأساً مما كان . ونراه بعد نصف ساعة يعود مرة اخرى على عجل .
فيتناول من الطريق حصاة كبيرة يقذف بها الواجهة فيتكسر زجاجها ويتحطم
التمثال ، ويلوذ هو بالفرار ... وهذه النفسية هي نفسية ألوف الشبان ، في هذا الشرق
العربي الذين تحرمهم التقاليد البالغة الشدة من العلاقات النسائية ، فاذا بعواظهم
تناكلهم ، واذا هم ينفذونها عنهم باعمال ليس من البعيد ان تكون اجرامية
في كثير من الاحيان .

(والشحاذ) قصة شاب كان يحده شحاذاً ، فكان يخفق في اقتناع اية فتاة من

اية اسرة في ان تقبل به زوجاً ، وكان يوماً
في مشرب ، فرأى الخدم يطردون شحاذاً
شديد الاحاح في الطلب . ولم يستطع الشاب
ان يكظم كرهه ، فسارع الى الفقير
المسكين يود ان يضره ضرباً مبرحاً بنفس
فيه عن غيظه ... ولكن الخدم يسكونه
دون ذلك . وقصة (لصوص) هي ايضا
قصة طريفة هامة : شاب في مطلع فتوته
ينفتح للحب ، فيسرق مال امه ليشتري هدية
يقدمها لمحبوبته . وقد تأرت به عواطفه يوماً

وعبيد » (١٩٤١) و « بعض الناس » (١٩٤٨) تنان عن موهبة
بمتازة . وبوسعنا ان نعتبر قصته « قافلة من الريف » احدى
روائع الادب القصصي العربي . وموضوع هذه القصة الذي
يتناول حكاية عنزة واسرة ، قد يبدو تافهاً ، ولكنه يحمل في
الحقيقة معنى انسانياً عميقاً ، وتصور الطبقة الفقيرة فيه مؤثر جداً .
فهذه العنزة هي فرحة الاسرة الوحيدة ، هذه الاسرة التي فقدت مملها ،
فكان على الام ان تبذل جهوداً فوق طاقة الانسان لتمسك على اطفالها الاود .
وقد كان هؤلاء الاطفال يعبدون تلك العنزة التي كانت تقدم لهم حليبها ،
وأتى يوم تركت فيه العائلة الريفية الصغيرة قريتها الى بغداد حيث كانت تأمل
الام ان تحسن حالتها المادية لتتمكن من الحاق ولدين من اولادها باحدى
المدارس الابتدائية . وقد نزلت الاسرة ، ريثما تجد غرفة لها ، ضفة على اسرة
صديقة . وفي ذلك المساء دخلت العنزة في غفلة من الناس ، الى المطبخ حيث
قابت وعاء الطعام المد للامعاء وأكلت منه ما طاب لها ، مما حرم الجميع عشاءهم
ذلك اليوم . وقد تألم الاطفال كثيراً حين شاهدوا مضيفهم يضربون العنزة
انتقاماً ، واكتفوا تلك الليلة بان يشربوا حليبها المعناد ، ويناموا نوماً مؤرقاً ،
لا سيما وان العنزة ملأت الدنيا بمتاعها ، وهذا ما ازعج اصحاب الدار ، فأجمعوا
في اليوم التالي على ضرورة بيع العنزة . واضطرت الام الى ان تستدعي راعياً
فاشترها بثمن بخس ، وحين رأى احد الابناء سليم ، هذا الراعي الذي حلم
به طوال ليلته ، اخذ يبكي ، فأشفق عليه الراعي وعلى اخوته الخزانى
لرؤيته العنزة ، وبكى الجميع حين رأوا سليماً يقبل يد الراعي ويتهل اليه ان
لا يسيء معاملة العنزة . فوعدهم الراعي بان يقودها اليهم مرة كل اسبوع ...
ومضت العنزة وهي تنظر الى رفاقها القدامى حزينة فيشتد نفاؤها الشاكي ، بينا
الاطفال يكون .

هذه القصة البسيطة الانسانية المؤثرة تذكرنا باروع
الاقاصيص الروسية . وهي ترسم لنا لوحة حية لهذه الاسرة
الشريفة ذات العواطف المحلصة ،

ويقدم لنا المؤلف وصفاً مؤثراً
للسقاء الذي تعيش فيه هذه الاسرة ،
ذلك الشقاء الذي لا يحرمها من
انبيل العواطف الانسانية : فان
كبرى البنات ، بالرغم من حداثة
سنها تشعر بعبء الشقاء والعوز ،
فتمتمت في اذن امها حين يأويان

يعقد كاتب المقال ان القصة العراقية الحديثة تقف في طليعة
النتائج القصصي في الأدب العربي المعاصر من حيث انعكاس
الايضاح الاجتماعية في مرآة الأدب . وقد تحدث في القسمين الاولين
من هذه الدراسة عن آثار محمود احمد السيد ، وانور شاوول ، وذو
النون ايوب ، وجعفر الخليلي ، وعبد الحميد لطفي ، وعبدالحق
فاضل . ويتابع الكاتب في هذا القسم الاخير من دراسته تحليل آثار
الجيل الجديد من ادباء الشباب الذين دفعوا بالقصة العراقية الى الصف
الاول من الانتاج القصصي في الادب العربي الحديث

قبل محبوبته في حديقة عامة ، وبلغته شرطي واراد سوقه الى المخفر بتهمة «المساس بالاخلاق العامة» ، ولكنه قبل ان يخلي سبيله حين عرض عليه الفتي المال المسروق المد لشراء الهدية . وفي القصة تفاصيل طريفة حقا .

ولنذكر اخيراً ان موضوع قصته « عروس » يمكن ان يعتبر من اوفر موضوعات القصة العربية الحديثة ابداعاً وجدة: منذ نعومة اظفارها ، ما انفكت بطلة القصة تحلم باليوم الذي ترتدي فيه ثوب العرس الابيض . ولكن قسوة الحياة دفعت بها الى بؤرة البغاء ؛ على ان رغبتها في ان ترتدي يوماً ذلك الثوب الابيض لم تضعف ساعة ، بل بالعكس ، فقد تمكنت اخيراً من ان تجمع ثمنه وتشتريه فتشعر بانها اسعد النساء . وقد اصبح هذا الثوب في نظرها الآن رمز الطهر والنقاء ، لأنه يذكرها بتلك الفترة من طفولتها البريئة التي انبعث فيها ذلك الحلم . وقد ارتدت هذا الثوب الأثير وذهبت الى مصور ليأخذ لها رسماً فوتوغرافياً . وصدق ان المصور كان يعرفها ، ويعرف من هي ، فاذا هو ينفجر ضاحكاً ساعة رآها ترتدي ذلك الثوب . وقرأ الناس في اليوم التالي في الصحف ان بغياً قد قتلت مصوراً .

هذه القصة الجميلة تشهد بموهبة المؤلف الاحيائية : ان تلك المرأة التي كانت تقبل دائماً وتوضح للاذلال ، بسبب المهنة الداعرة التي تفتنها ، والتي كانت تتحمل السخرية والهزؤ من اي انسان ، ترفض ان يُمس الشيء الوحيد الذي يذكرها بأروع حلم في حياتها ويعزها من واقعها الشقي . وهكذا يبدو شالوم درويش ، بالرغم من ان آثاره القصصية محدودة ، وجهاً من الممتع وجوه كتّاب القصة القصيرة في الادب العراقي الحديث .

ج . المرحلة الثالثة

تبدأ هذه المرحلة الاخيرة من النتاج القصصي في العراق عقب الحرب العالمية الثانية ، فهي إذن حديثة العهد ، ولكن بدورها تعد بمحصاة خصب . ذلك ان الجيل الجديد من ادباء الشباب الذين يمثلونها بدأ ينتج ادباً قصصياً يعبر أعماق ما يكون التعبير عن شواغل مجتمع خلّف وراءه مرحلة اليقظة ، ليدخل في مرحلة وعي يتزايد مع الايام . إن هذا الجيل الذي بشر به ايوب ولطفي وفاضل ودرويش ينغمس في أعماق الحياة الاجتماعية ، وأعماق الحياة الفردية ، ليخرج منها بأثار ناضجة ، فيها مشابه من آثار الآداب الاجنبية الحديثة .

على ان كتاب هذا الجيل لم يُتج لهم بعد ان ينشروا من

الكتب ما يمكننا من استخراج خطوط ناجزة لتناجهم ، من حيث الفن القصصي . ولكن بوسعنا ان نطمئن الى ان كلا منهم قد تمكن من خلق شخصية خاصة له تستكمل ميزاتها باطراد . وسنستعرض هنا بخطوط سريعة موكب هؤلاء الكتاب .

يقف في طليعة الموكب عبد الملك نوري الذي يتميز بحس واقعي دقيق للشقاء البشري ، وهو مراقب مرهف الملاحظة ، يرسم لوحات حية للمجتمع العراقي ، ويخط صوراً صادقة لطبقة هؤلاء المثقفين المتبرمين الذين يتكاثر عددهم في البلاد العربية كلها ، والذين باتوا لا يؤمنون إلا بمثل يخلقونها هم انفسهم ، ويشقون من أجلها طرقهم بأيديهم . وتضم مجموعته « رسل الانسانية » (١٩٤٦) - فيما تضم - قصة « مأساة الفن » التي تصور درامة حياة المثقف العربي الذي يفرض رغبة في خدمة بلاده ، ولكن القيود التي يحيطه بها مجتمعه المتأخر يشل كل عمل له ، فاذا هو يسقط في اليأس ويضحى بفنه ومن ثم بنفسه . تلك هي قصة ذلك المؤلف المسرحي الذي يرافق فرقة تمثيلية تحاول ان تقدم مسرحيته .

ولكن خير اقاوصيص نوري لم تظهر في هذه المجموعة ، وإنما في بعض المجالات الادبية ، ولا سيما « الاديب » اللبنانية . وميزة جميع هذه الاقاوصيص تكمن في خلق « الجو النفسي » للبطل ، وهو جو يعتمد قبل كل شيء على « المحاورة الداخلية » Monologue Intérieur ، وعلى استغلال تفاصيل الاحداث لتصوير نفسية البطل عبر موقفه منها . والصفه العامة لنفسيات هؤلاء الابطال هي القلق ، هذا القلق الذي اصبح عنواناً لجميع شخصيات هذا الجيل الجديد من الشباب الذي يعيش في واقع مؤلم يحمل طابع العذاب المادي والروحي .

على ان بعض اقاوصيص عبد الملك نوري تفتقر الى التركيز الذي ينبغي ان يستقطب الاحداث ليخلق من الموضوع وحدة معبرة مكتملة الاجزاء . وانتقاء هذا التركيز هو الذي يكسب قصتي « عبود » ١ و « ريح الجنوب » ٢ مثلاً ، ضعفاً تركيبياً ظاهراً . فالقصة الاولى هي قصة فقير معدم تتجمع دنياه كلها في حبه لكلمته ، وهو في خلال ذلك يعيش من استجداء الخبز والسكرير . وقد اوشك ان يموت يوماً لأنه طلب سيطرة من مأمور بلدية حسب الحاكم . واحداث هذه الاقصوصة ضعيفة الرابطة لأنها لا تتجه الى عقدة معينة ، فهي

(١) « الاديب » ، عدد سبتمبر ١٩٥١

(٢) « الاديب » ، عدد ابريل ١٩٥٢

مجموعة صور مبعثرة تدل حتماً على نفسية ، غير ان هذه النفسية تظل ناقصة اذا شئنا ان نضعها في اطار « القصة الفنية الكاملة » . وكذلك القول في « ربح الخنوب » التي تحمل نفسية ام تقود ابنتها العمياء في القطار الى حيث ترجو ان تؤمن لها الشفاء على يد ولي كبير . ونرى المؤلف يستغل فرصة وجود ديك مع هذه الام وابنتها ، فيحلل نفسيته تحليلاً عميقاً .. ولكن رابطة الحوادث تظل مع ذلك من الضعف بحيث تحرم القصة من بناء مكتمل الإركان .

ومن روائع نوري قصته « الرجل الصغير » ١ التي يعزل فيها فترة من حياة صبي تحتضر فيها أمه ، قترسه الى استدعاء اخته . والقصة تدور حول هذه الفترة التي يقضيها الطفل في انتظار سيارة نقله بعشرة فلوس ، ومن هذا الانظار تنبثق رؤى الطفل واحلامه وحياته كلها وتعلقه بأمه التي تحتضر : نفسية شديدة الارهاق ، على سذاجتها ، وتصوير لها يبلغ ذروة الروعة ، ولا سيما حين تاه الطفل عن بيت اخته فجعل يبكي . ان تحليل عبد الملك نوري هنا يذكرنا بفن دستوفيسكي الخالد . ولكن القاريء يظل ، في معظم قصص الكاتب ، على ظمأ وجوع من حيث الخائمة . وقد يكون طبيعياً ألا يعنى نوري بالخائمة ، ما دام لا يُعنى أصلاً بالعتدة . على اننا لا نستطيع ان نجد في ذلك إلا تقيصة في قصص هذا الكاتب العراقي الممتاز الذي يحملنا حرصه على إنهاء قصصه دون ان يُنهيها على الاعتقاد بأنه يتكلف هذا الأمر تكلفاً ، وفي ذلك ما فيه من مخالفة لطبيعية الحياة وتلقائية الفن الذي يصورها .

وتنف اخيراً معجبين شديد الاعجاب بقصتي « فطومة » و « غثيان » ٢ . وفي هذه الاخيرة تحليل نافذ لشكوك قتالة وحيرة معدبة تناول شاباً كان يجب امرأة سافرت وخلفته في جميع حبها وجسمها ، فقادته قدماء بغموض الى حيث يطفىء الشباب نار اجسامهم ، وحين اختلى باحدى تلك النساء أتاه الغثيان ، فأتضح لذهنه ان « ذلك » مستحيل ، فهاد الى ذكرى حبيته البعيدة ووجد في هذه الذكرى أمن روحه ودفء قلبه .

وقاريء عبد الملك نوري يدرك انه متأثر بكتابات الروس الحدسيين امثال دستوفيسكي وغوغول وتورغنيف ، كما أنه متأثر بالكتابات الانكلوسكسون ، وخاصة بروايات جيمس جويس وفرجينيا وولف ؛ وهو شديد الاهتمام بسبر اغوار منطقة اللاوعي ونصف الوعي وتداعي الافكار بل تداعي الكلمات احياناً ، وكل هذه من مقومات خلق « الجو النفسي » و « المحاوره الداخلية » .

وماشي هذا القصاص في براعة خلق الجو النفسي كاتب آخر هو نزار سليم الذي تكشف اقايصه عن غنى شعوري وذهني . والتوتر النفسي الذي تتميز به اقايص مجموعته « اشياء تافهة »

(١) « الاديب » ، عدد يناير ١٩٥٢ .

(٢) « الاديب » ، عدد مايو ١٩٥٢ .

(١٩٥٠) و « فيض » (١٩٥٢) يتكون من اشتات التأثيرات والعواطف واللمعات ، شأنه في ذلك شأن عبد الملك نوري ، وليكن يضاف الى ذلك تركيز محكم غالباً ، إلا في اقصوصة « اشياء تافهة » التي يدرك القاريء ادراكاً غامضاً جداً انها تود ان تعبر عن فكرة العبث في الحياة . ومن قصص نزار سليم الناجحة « الفأر » وهي قصة شاب مثقف يراقب في غرفته حركات فأر يخرج من مخبأه اذا اطمان الى ان الغرفة خالية ، ويعود اليه اذا سمع اي صوت . وقد بدأ الشاب يتربص به ليقته فأعجزه ذلك ، واذا شعوره يحول الى اعجاب بحركات الفأر وجمال خلقته ودقة تكاونه . وتظل هذه الفكرة راسخة في ذهنه ، حتى يقصد بيت الفتاة التي كان يعطيها بعض الدروس ، وكان يحبها دون ان يبوح بماطفته ، وكانت هي تنتظر كلمة منه في هذا المعنى . فلما رآها يومذاك فاض حبه لها ، واذا هو يعبر عن عاطفته لها بالفكرة التي كانت مطبوعة في ذهنه ، فيأدرها بأنها تشبه بجبالها الفأر الجميل الذي كان يراقبه في غرفته ... وكان من الطبيعي ان تغضب الفتاة وتثور عليه وتشعر له بالقتل دون ان تدرك ان تذوقه للجمال ، ولو كان في صورة فأر ، هو الذي دفعه الى ذلك التعبير . وقصة « نصيب » قصة رائحة بنزعها الانسانية : قصة فتاة تعاني كثيراً من صفاقة الناس وساجتهم حين تقوم بهمتها في بيع اوراق اليانصيب ، ولكنها تتحمل كل شيء في سبيل الحصول على لقمة العيش ، الى ان باعت ذات يوم شاباً متواضعاً مملذباً في حياته الورقة التي رجحت الجائزة الكبرى . وقد أقبل عليها الشاب فوراً يطالب اليها ان تقبل به زوجاً ، فشعرت بان السعادة قد هبطت عليها اخيراً وانترعتها من برائن الشقاء الذي كانت تعيش فيه ، واحست بان حبه لهذا الشاب يملأ كيانها كله ، وراحت تحلم بايامها القادمة وتبني عليها كثيراً من آمالها .. ولكن ها هو الشاب يعود اليها في اليوم التالي ليبلغها في كتابة عظيمة بأنه اضاع الورقة الراجحة ، وان ذلك ثبت له انه لاحظ له في حياته ، ثم رجاها ان تنسى انه طلبها للزواج .. ولكن الفتاة لا تردد في مصارحته بأنها لن تتخلى عنه ، وان حياتها قد انصهرت في حياته ، وانه لا تأثير للمال الذي ربحه ثم فقده ، فقد كتب عليها ان تعيش الى جانبه مجاهد معه في معركة الحياة ، وتصارع وإياه هذا القدر الذي جمعها بالشقاء . انها قصة مؤثرة بانسانيتها وبما فيها من نزوع الى مثالية رائحة لا تني تهدهد احلام الشباب المكافح .

ولا شك في أن أروع اقايص المجموعة هي « اشباح بلا ظلال » التي تجمع حالات نفسية متفرقة في وقفة وفتحة فتاة فلسطينية امام مذبح دمشق لتطمئن أهلها البعيدين عن صحتها ، فتواتر امام ناظرها رؤى كثيرة تحمل كلها طابع الفجعية التي خلقتها في نفوس العرب كارثة فلسطين وفرار اللاجئين . قصة تهتز بالعصبية والسخرية وتفيض دموعاً ونقمة ، وفيها شابان يضربان امثولة في البطولة الفذة حين يأبيان مغادرة الارض التي « تحمل ذكرياتها ومجدهما » ويؤثران ان يموتا فوق تربتها قريري العين . والحق ان موهبة نزار سليم في خلق الجو النفسي المتوتر تتجلى في هذه القصة خير ما تتجلى ، فضلاً عن انه يتابع فيها فكرة نبيلة هي في صميمها رسالة .

من العهد الذي كانت تعيش فيه البلاد آنذاك ، فان هذا الايمان الذي يفقد وجهته يتحول الى وهم راسخ لا يزيله شيء : إن عبد علي لا يصدق مطلقاً ان هنار قد مات ، وانما هو قد اختفى ليظهر فيما بعد ، وينكسب الحرب ويمرر العراق ...

اما الظلم الاجتماعي فيجد خير تعبير له في « الرهان » وهي قصة انسانية مؤثرة : اب شيخ يقبل بأن يقطع النهر سباحة في زهورير الشتاء ليحصل على جائزة مالية كان يطعم بها ليدوي بمنها عيني ابنته التي كان يرغب في تزويجها لخير صديق له . ولما كان جسم هذا الاب ضعيفاً منهتماً ، فقد حكم على نفسه بالموت ساعة ارتضى ان يقوم بهذه التجربة القاسية ... ولكنه مع ذلك مات مطمئناً لاعتقاده بأنه ضمن لأبنته الوحيدة حياة لا م فيها . ولئن كانت خاتمة

قصته « المنزل رقم ٤ » لا تخلو من تصنع ، فان اللهجة الصميمية الصريحة التي يصف بها البطل حبه القلق لجأته تكسبها قيمة خاصة ، ويضمن المؤلف قصة « الدخيل » تحليلاً نفسياً دقيقاً. لوح فناء صغيرة تنظر عودة ايها الذي مات حديثاً ، وقد بدأت تحب رجلاً كان يتردد على البيت في تلك الاثناء ، ولكنها ما لبثت ان كرهته وتمت ذهابه نهائياً اذ ادركت انه لم يأت إلا ليحل محل ايها ، فسقطت من اجل ذلك مريضة . وحين غاب الدخيل ، لم يكن لديها إلا سؤال واحد طرحته على امها : « متى يعود اي ؟ » . قصة تذكرنا بأجل اقايسى تشيكوف. وقد نشر شاكر خضباك اخيراً قصة بعنوان « الكسح » تشهد بأنه ماض في تركيز فنه القصصي على دعواتين متبنتين من تصوير صادق للظلم الاجتماعي وتحليل بارع للنفسيات .

★

اما عبدالرزاق الشيخ علي فيعد في مجموعته « حصاد الشوك » (١٩٥٠) وعوداً كثيرة . وقصته « رباب » تجلو مظهرها من مظاهر العاطفة الوطنية المتأججة في العراق ، وتؤثر في القاريء تأثيراً شديداً ببطولة أشخاصها المعذنين . ومثل ذلك يُقال في قصته « على الحديد » التي تقدم شاباً زاخر العواطف بالنبل ، ولكنه محتقر ومطرود من بيته ومهجور من زوجته بسبب عاطفته الوطنية المجاهدة . وقد انتهى به الأمر ، إزاء هذا الضغط المعذب من قبل محيطه ومجتمعهم ، الى استشهاده مركب النقص وإحساسه بأنه اقل من ذبابة . وفي « زوجة الفنان » تصوير دقيق لهذا القلق الغامض الذي يستولي على الشبيبة العربية والذي يصعب التعبير عنه . ولا شك في ان خير اقايسى الكتاب هي « في منتصف الليل » ، فقارعا يشعر في كل سطر فيها بحيرة عميقة تتألم لها روح ذلك الطالب الذي يعيش في باريس باحثاً عن مثله وخطة مسلكه في الحياة . وقد كان من اولئك الذين يهتزون لادنى مظهر انساني ويرتبون بكل شقاء بشري ، وهذا ما جعله يتعلق بروح مارتينيكي اسود أرحبه حين اقتحم عليه غرفته لدى منتصف الليل . ولكن الاخوة في شعورهما بالشقاء البشري ما لبثت ان ربطت بين روحها ، فاذا به يقاسم ذلك الزنجي الجائع رغيف الخبز الذي كان يحتفظ به لفظوره ، ثم يشاركه الفرنكات القليلة التي كان يقتر على نفسه بها لتكفيه نفقة للشهر كله ... وحين

(١) العدد الاول من « الآداب » ، كانون الثاني ١٩٥٣

وتنطوي مجموعة المؤلف الثانية « فيض » على بضع اقايسى تشمر بالظلم الاجتماعي الذي يعاينه كثيرون في البلاد العربية ، كـ « اربعة فلوس » و « فيض » . وفي قصة « دجاجة المسعدة » تصوير متمتع وسخرية ظريفة تنبض بها كثير من قصص المؤلف . ولعل قصة « البيت على اليمين » خير اقايسى هذه المجموعة ، وهي تصور نفسية شاب يتبع بالمصادفة شاباً يتقدمه في الطريق ، فيخيل اليه انه يريد به شراً ويتربص به فرصة ملائمة . وترسخ هذه الفكرة في رأسه رسوخاً شديداً الى ان يدرك الشاب الذي يجري امامه فيدفعه الى النهر ، وتنتهي بذلك وساوسه : قصة نفسية عميقة تذكرنا بمقاطع من رواية كامو Camus التي عنوانها « الغريب L'Etranger » .

★

ويأتي في هذا الموكب بعد ذلك شاكر خضباك بمجموعتيه القصصيتين « صراع » (١٩٤٨) و « عهد جديد » (١٩٥١) وهما تضمان صوراً جذيرة بالتقدير . ولا شك في ان المؤلف قد حقق تقدماً طيباً في مجموعته الثانية ؛ ذلك ان معظم اقايسى المجموعة الاولى سطحية ولا تتم الا بالضحك والغريب والبشاذ من الاحداث . وبعضها يكتفي بتصوير تفتح غريزة كقصتي « صراع » و « بداية النهاية » ، وبعضها يخلو من الاهمية كـ « عجب » و « خبر في جريدة » و « بطل الحرية » . وفي « ضحية » طرف من التصوير الاجتماعي ، على ان هناك قصتين ناجحتين « عذاب » التي تصف آلام شاب امتنع عن انقاذ طفل غريق كيلا يفسد بزّة جديدة كان يرتديها ؛ ولكن يضعف هذه القصة نصائح صديقه الثقيلة . اما « احلام الشباب » فتصور بفر اوفر نضجاً وساوس شاب يلتقي بفتاة في اوتوبيس .

ولكن النزعات التي تظهر في المجموعة الثانية ، سواء كانت فنية ام فكرية ، اشد وعياً وبرز خطوطاً من نزعات المجموعة الاولى ، ففي عدد من القصص تقف على تعبير عميق لبعض مظاهر المجتمع العراقي الراهن : « عهد جديد » تقدم لنا اسرة متواضعة في إطار بين الملامح ذي لون محلي فاقع ، وشخصية الاب الجزار متميزة تمام التميز . وموضوع « اعوام الرعب » ، وهي من خير قصص الكتاب ، يتناول البطولة التي تضطرم بها نفوس الجيل الطالع الذين يثور بين وقت وآخر ضد الارهاب ، والقصة تحلل خوف والذي شاب يلاحقه رجال الشرطة بتهمة إثارة الشعب . وتصف قصة « صديقي عبد علي » تطور شعور وطني قومي اصيب بالانحراف واللاوعي . والواقع ان ايمان البطل الذي لا يتزعزع بانتصار هنار في الحرب الماضية ليس الا نتيجة قلق كامن موزو الى استياء السكان

المتجمع ، لا على هامشه (قصة « موعد مع العيد ») ولعل خائقه بحاجة الى مران وصل ولبورة ليتمكن من اللحاق بالمقدمين في الموكب .
بقي ان نمبر عن اعجابنا بما ينشره بعض الكتاب الذين لم نقرأ لهم في كتب ، وانما في مجلات ، امثال جبرا ابراهيم جبرا ، وفؤاد التكرلي ، ومحمد روزننجي وسوام (١) .

★

وبعد ، فان هذه النظرة في القصة العراقية الحديثة كافية ، بالرغم من انها موجزة ، لان تثبت بان النتاج القصصي في العراق يحتل مركزاً هاماً في مجموع الآثار القصصية في الادب العربي الحديث . إنه ادب صراع ومقاومة وثورة يستجيب اكثر من اي ادب آخر في البلاد العربية الى الحاجات الحيوية التي يتطلبها مجتمع في إبان نموه . وهذا الادب الذي يعي المهمة التي ينبغي له ان يضطلع بها في حياة البلاد ، لا يجتريء مطلقاً بايراد واقع جاف خام ، وانما يخلق ويضع نماذج من الابطال يسهم بواسطتهم في نصب مثل عليا تتيح للجيل الجديد ان يخط لنفسه دربه الخاص ، وان ينتقل من وعي حقيقته الى العمل البناء المستمر في سبيل تحسين اوضاعه الاجتماعية والسياسية . ومقابل هذه النزعات المعنوية القوية في القصة العراقية ، تبقى النزعة الفنية ضعيفة نسبياً ، ولعل هذا طبيعي في وعي جيل من الابداء تشغلهم اوضاع بلادهم وحاجاتها عن ان يرعوا الجانب الفني من نتاجهم الرعاية الكافية . على اننا نرجو ان تصيب التقنية (Technique) القصصية على ايدي هذا الجيل ما هي بحاجة اليه من تعزيز وتركيز سيكسبان القصة العراقية ، يوم يتحققان ، قيمة عالمية دون شك . (٢)

سهيل ادريس

(١) لا شك في ان هناك آثاراً قصصية اخرى في العراق جديرة بالدرس والنقل ، ولكنها لم تباعنا او لم يصل الى علمنا شيء عنها . فلعل اصحابها يرسولونا الينا مشكورين لنستوفي بها هذا البحث .
(٢) لا بد لنا هنا من ان نحذر بعض القصصين المبدعين من المضي في استعمال اللغة العامية في الحوار . فهم لا يدركون حقاً مبلغ الاساءة التي يلحقونها بقصصهم في ذلك ، وهم ينسون قبل كل شيء انهم لا يكتبون لقراءهم المحايين وحدهم ، ثم لا يقدرين ما في ذلك من مساس بالروح القومية العربية .

غادره الزنجي اخيراً ، شعر بأنه يود ان يبكي لدهابه . . . قصة تم تتوز بالرهافة ، وتفقد بهذا التلخيص القيمة الانسانية التي تنبض بها .

★

واما صلاح الدين الناهي فيجمل قصصه في مجموعتي « افاصيص شتى » (١٩٤٩) و « تثنية الافاصيص » (١٩٥٢) جواً من السخرية المرحة ، ولكنها سخرية لا تعمق فيها . والحقيقة ان ما تحويه هاتان المجموعتان اقرب الى ان يكون مقالات وتعليقات وصوراً ، لا افاصيص فنية . فالحادثة معدومة في معظمها ، والفكرة طاغية إجمالاً ، والمؤلف يتدخل غالباً بتعليق او انطباع او تأثر ، وكل هذه من شأنها ان تضعف كثيراً فنية الأثر القصصي ؛ وهذا ما نلاحظه مثلاً في « القصصي المجهول » و « الشاعر الفيلسوف » و « ذكر الصبا » و « على رسلكها » و « تصلي في المقهى » الخ . . . وما رأيناه إجمالاً في افاصيص المؤلفين السابقين من تصوير اجتماعي وتحليل نفسي وعقد هامة ، لا نجد منه في هاتين المجموعتين إلا ظلالاً باهتة ، فضلا عن ان اسلوب الناهي يفتقر الى تلك العصبية المتوترة التي تحيي القصة وتثبت فيها الهزة الشعورية النابضة . وفي المجموعة الثانية قصص تلعب فيها « المصادفة » دوراً كبيراً فتتزع عنها صفة « احتمال الوقوع » وهذا واضح في « آلام مبرحة » و « واحة في الصحراء » مثلاً .

وهذه المصادفة هي عماد افاصيص خليل رشيد في مجموعته « الحياة قصص » (١٩٥٢) ، وهي في الحقيقة روايات ملخصه ترتكز على الحادثة التي تبهر دون ان تؤثر . ومثل ذلك القول في رواية « شيخ القبيلة » (١٩٥٢) من تأليف حمدي علي ، ومجموعة « صرعى » لمحمود الحبيب ، و « نهاية حب » و « همس الايام » و « شجن طائر » و « بقايا ضباب » وكما من تأليف عبدالله نيازي . واما محاولة عبد الصمد خانقاه في مجموعة « في الغاب » (١٩٥٢) فنشر بالنجاح بالرغم من ضعف الحكمة القصصية التي تجعل من بعض القصص مجموعة تأثيرات وانطباعات ، وبالرغم ايضا من ضعف التعبير وقصوره احياناً عن تأدية المعنى المقصود . والحق ان لهذه المجموعة مزيتين : اولاهما انها تنجح في تصوير القلق والحرمان اللذين يعيشها شبان الجيل الطالع (انظر مثلاً قصص « ككل الناس » و « دخان » و « طنين ») فيحاولون الخروج منها في الناس المتع الجسمية والاغراق في الشراب ، والثانية انها تعيش في صميم

نظارات طبية



تضمن سلامة عينيك بتخصيص نظارتك بدقة فنية طبياً بوصفة الطبيب

محلات عدنان الحكيم وشركاه

بيروت - الصبح - تلفون: ٨١٠-٣٦